

سلسلة دروس من سورة المائدة (٣-٤)

دروس من هدي القرآن الكريم

سورة المائدة

(الدرس الثالث)

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢ من ذي القعدة ١٤٢٢هـ

الموافق: ٢٠٠٢/١/١٥م

اليمن - صعدة

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة
(كاسيت) وقد أُلْقِيَتْ ممزوجةً بمفرداتٍ وأساليبٍ
من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها
مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

إعداد: يحيى قاسم أبو عَوَاضَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

نحن بعد لم نستكمل الآيات في (سورة المائدة) وصلنا إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥).

قد تحدثنا حول هذه الآية وذكرنا أيضاً مما ذكره السيد (محمد حسين فضل الله) حول الآية أيضاً. وقد يبدو للكثير منا بأن الموضوع قد استكمل، أو قد يبدو للبعض أيضاً تساؤل من نوع آخر.

والذي أريد أن أقول: بأن هذا الزمن، هذا العصر لا نعلم بأنه مرّ في هذه الدنيا عصر أزهى منه، ولا أكثر تضليلاً وضلالاً مما يحدث فيه، ضلال بشكل رهيب، وبشكل دقيق، وبانتشار كثير على نطاق واسع، وبشكل أوسع من انتشار الضلال ربما في أي زمن من الأزمنة الماضية، الضلال ينتشر في هذه الدنيا من أقصاها إلى أقصاها في لحظة واحدة وفي ساعة واحدة، بينما كانت الكلمة الباطلة الكلمة المضلة أو الموقف الضال في العصور الماضية لا تنتشر في منطقة كالجزيرة العربية إلا في أشهر حتى تصل من أقصى الجزيرة إلى أقصى الجزيرة. وعندما تصل لا تصل إلى كل قرية، عندما تصل لا تصل إلى كل بيت، في هذا الزمن يصل الضلال، التضليل، الخداع، التزييف إلى داخل - تقريباً - كل بيت، وفي لحظة واحدة، وبسرعة هائلة، حتى إلى داخل المساجد أنفسها، زمن رهيب جداً.

نعود إلى أنفسنا نحن (الزيدية) هذا الشيء الذي يزعجنا جداً، نحن الطائفة ربما الوحيدة في هذه الدنيا وفي هذا العصر الرهيب، الطائفة المعرّضة للتضليل بشكل رهيب جداً أكثر من غيرها؛ لأن كل ما نتلقاه ليس على أيدينا، حتى أبنائنا في مدارسنا لا يتثقفون على أيدينا، أليس كذلك؟

الصوت الذي نسمعه ليس منا، الصوت أو الموقف أو الكلام الذي نراه أيضاً ليس من داخلنا، الصحيفة التي نقرأها ليست من داخلنا، ليس لنا أعلام واضحة، ليس لنا هداية نلتزم بهم، ليس لنا مدارس قائمة هي التي تتولى إخراج مرشدين يتحرّكون في أوساط مجتمعنا، ليس لدينا شيء، فكل ما يدور في داخلنا، في داخل بيوتنا، في داخل مساجدنا، في داخل مدارسنا، في داخل ساحتنا، هو ليس منا ولا على أيدينا.

ونحن في الوقت نفسه "مُفْتَحِينَ" كل واحد منا له (أريل)^(١) أو اثنان يستقبل من كل الجهات؛ ذلك يعني بأننا قد نكون نحن الضحية، الضحية الكبيرة للتضليل في هذا الزمن، طوائف أخرى لديها ضوابط، ما زال لديها ضوابط معينة، لديهم عالم يمثل مرجعيتهم الكبرى أو العليا، وسائل إعلامهم من داخلهم، مناهجهم في المدارس هي على أساس مذهبهم وعقائدهم وتاريخهم، الصحيفة هي من داخلهم، السلطة هي سلطتهم، المرشدون هم منهم، الكُتّاب هم منهم، المكاتب مملوذة بكتبهم، أليس كذلك؟ لكن نحن الزيدية ماذا نملك؟ اذهب إلى أي مكتبة من المكتبات في صنعاء أو حتى في صعدة كم تجد؟ ربما أقل من ١٪ من الكتب التي أمامك كلها ٩٩٪ كتب أخرى من كتب الآخرين، أليس هذا مما نراه؟ مكتبات طويلة عريضة أدخل تجد ٩٩٪ منها كتب ليست زيدية، ليس لدينا شيء، لا ثقافة هي تمثل ثقافتنا هي التي تسود في الساحة، ولا ثوابت داخل أنفسنا تقينا من أي ضلال يأتي من هنا أو من هنا أو من هناك.

لولا أن الآخرين من الطوائف الأخرى أو الكثير من الطوائف الأخرى لولا أنهم هم على ضلال فيما بين أيديهم لَمَا تعرّضوا للتضليل، ولَمَا كانوا ضحية للضلال لولا أن ما بين أيديهم ضلال؛ لأن ما بين أيديهم هو يُفَعَّل، أليس كذلك؟ تراثهم هو الذي يُفَعَّل، هو الذي يملأ المكتبات، هو الذي يرفع في المسجد، هو الذي يدرس في المدرسة، هو الذي يُكْتَب في الصحيفة إذا كان هناك صفحات عن قضايا إسلامية هو الذي يُكْتَب في الصحيفة هو، هو الذي يتحرّك لولا أنه من أصله لا يقوم على أسس صحيحة لَمَا تعرّضوا للتضليل والإضلال، ولَمَا أصبحوا على ما هم عليه؛ لأنهم لا ينقصهم شيء، هم أساساً لا ينقصهم شيء بالنسبة لَمَا يعتقدونه ويؤمنون به، ويثقفون أنفسهم به إسلامياً، هل ينقصهم شيء؟ لا.

ألا يعني هذا بأننا نحن الزيدية في هذا الزمن الرهيب قد نكون نحن الضحية الكبرى للتضليل، نحن من نرى

(١) مُفْتَحِينَ: أي أن أبواب تلقى الفكر مفتوحة لدينا لكل من هبّ ودبّ. أرييل: المقصود به: جهاز استقبال إشارات البث التلفزيوني. وقد ورد في هذا السياق للتلفزيون وغيره من وسائل الإعلام والتثقيف والتربية والتعليم المرئية والمسموعة والمقروعة.

أبناءنا هذا يسير كذا وهذا يسير كذا، أبناء هذه الطائفة، هذا وهابي وهذا أصبح (اثنا عشري) وهذا أصبح لا ديني، وهذا أصبح... ونرى أبناءنا من داخل مدارسنا يتخرجون على نحو آخر، ألا يعني هذا بأننا نحن بحاجة الى وعي، الى فهم، بحاجة الى مزيد من المعرفة، بحاجة الى مزيد من المعرفة بالثوابت التي تصف عليها، وتتحرّك على أساسها، أو أنه لا تعيننا أنفسنا، لا يهّمك أن تصبح ضحية للضلال، أو لا يهّمنا أمر ديننا لا يهّمنا، لسنا مسؤولين أمام الله؟

وتحدثنا في كلام سابق بأن المسؤولية على الزيدية تبدو أكبر من المسؤولية على أي طائفة أخرى، أكبر من المسؤولية على أي طائفة أخرى؛ لأننا في الوقت نفسه نقول: نحن أهل الحق، ونحن الذين بين أيدينا مبادئ الإسلام وقيمه بشكل صافي ونقي، لم نتعرّض في تاريخنا إلى أن نحمل عقائد باطلة ندين الله بها، فنحن أهل الحق؛ إذًا فأنت أنت المسؤول الأول عن هذا الحق أن تعلي كلمته، أن تعلي صوته، أن توسع دائرته في هذه الأرض.

ثم مع هذا نبدو أكثر الناس ملأً، وأقصر الناس نظرة و- تقريباً - أضيق الناس صدرًا، لا نريد أن نسمع كثيراً، لا نريد أن نفهم كثيراً، متى ما تحدّث أحدنا عن علي بن أبي طالب مرتين ثلاثاً قلنا: (خلاص، يكفي) متى تحدث عن أهل البيت قلنا: (يكفي) إذا تحدث عن قضايا المسؤولية وإشعارنا بمسؤوليتنا قلنا: (يكفي) ملل وضيق أفق.

أسنا نرى الآخرين لا يملون من أن يسمعو ما هو حديث عن معتقداتهم؟ أحياناً حتى داخل مدارسنا العلمية هذه التي عمرها لا تزال ناشئة نسمع أن في داخلها من يقول: (خلاص، يا أخي، يكفي) أنت أول من تملّ وأنت من يراد منك أن تخرج داعية للأمة، مرشداً للمجتمع، مرشداً للناس فإذا كنت أول من يمل، أول من يقول: (يكفي) فلن نتحدث مع الآخرين حتى يقولوا: (يكفي) مثلما قلت أنت، ألا يعني هذا بأننا يجب أن نفتح أكثر وأن نفهم أكثر؛ حتى لا نكون تحت أقدام من هم تحت أقدام من هم تحت أقدام من ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، حتى لا نبوء بغضب من الله، حتى لا نتعرّض لعقوبة الله في الدنيا قبل الآخرة؟

وغير صحيح غير صحيح أن تقول: نحن فعلاً نعيش مستضعفين أذلاء لكن إن شاء الله يوم القيامة ندخل الجنة، ونعيش أعزاء، ونعيش سعاداء، ونرى الآخرين وهم في قعر جهنم ليس هذا صحيحاً، إذا لم تكن أنت من تعمل هنا في الدنيا؛ لأن الجنة هي كما قال الله: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٦) مجرد خداع فقط نخادع أنفسنا. إذا فُتِح^(١) ولنفهم ولنحاول أن نسمع أكثر، ولكن من أين؟ نحن نسمع كثيراً وتسمع أحياناً بغير إرادة منك، أليس الكلام في هذه الدنيا كثيراً؟ أليس الكلام كثيراً في هذه الدنيا؟ تسمع حتى على غير إرادة منك وتشاهد رغماً عنك، تسمع رغماً عنك، وتشاهد رغماً عنك، أنت تمشي في الشارع وذلك الـ(ميكرفون) في الجامع فيه إنسان مضل يتحدث، تمشي أنت في السوق ورغماً عنك تسمع كلامه، أليس كذلك؟ يتحرّك وراءك بـ(عربية) الأشرطة أو سيارة فتسمع رغماً عنك، تلتفت إلى الأرض ترى قطعة صحيفة، قطعة كتاب تقرؤها رغماً عنك، لافتة هنا أو هناك لافتات تقرؤها رغماً عنك، أليس كذلك؟ حتى يصبح الإنسان يتعرّض لبعض الأشياء رغماً عنه فيفضل رغماً عنه.

عندما نقول: نفتح نسمع أكثر، نسمع من قناة واحدة، لا يعني بأن نسمع من هنا ونسمع من هناك، كل شيء حاصل من هنا وهناك وهو الذي عانينا منه، إذًا فالزمن بكلمة والمرحلة بكلمة هي نفسها ما سماه الرسول (صلى الله عليه وسلم) (قنن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً) ما المخرج؟ هل المخرج كما يقال: (أن تتثقف أكثر) فتتقن هذا، وتسمع هذا، وتذهب إلى ذلك، وتسير عند ذلك، وترجع إلى هذا، وتنظر عند هذا؛ فيقال: توسّع ثقافتك على أساس أن يكون لديك معرفة، ويكون لديك رؤية، وأن يكون لديك خبرة، وتطور معلوماتك، وكلام من هذا القبيل، هل هذا هو الحل؟ لا.

سيكون هذا مفيداً متى ما بدأت تمشي في طريق واحدة وتثقف نفسك أولاً من قناة واحدة؛ فتصبح لديك ثوابت صحيحة، تصبح لديك رؤية صحيحة، مقاييس صحيحة، معايير صحيحة، ثم حينها انطلق في هذه الدنيا،

اقرأ أي شيء، تسمع ولو كل قنوات العالم هذا تسمعها أو محطات الإذاعات كلها فيما بعد ستفيدك فعلاً خبرة وبصيرة، سترى كم هي ضالة، سترى كم فيها ما يشهد بصحة ما أنت عليه، حينها لا تكون عرضة - إطلاقاً - لأن تضل.

بعد أن أخبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه سيأتي بعده فتن كقطع الليل المظلم على هذا النحو، هل سكتا؟ هو من هو حريص على هذه الأمة أن يرشدها أن يبصرها حتى وإن كان في آخر أيامه، والمرض ينهك جسمه، والموت يدب في أعضائه، لا يزال يحمل حرصاً على هداية أمته.

من خلال الرسول (صلى الله عليه وسلم) سنعرف ما هي هذه القناة، ومن خلال القرآن أيضاً وأولاً نعرف ما هي هذه القناة التي نعطيها أهمية كبرى أولاً، الله قال في القرآن الكريم يتحدث عنه بأنه هدى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩) ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٨٥) ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ (المائدة: ١٦) سبل السلام، سلام من ماذا؟ السلام من الضلال، السلام من الهلاك، السلام من الخزي، السلام من العار، السلام من جهنم.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣) في أكثر من آية يذكر الله سبحانه وتعالى أن هذا القرآن هو هدى ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢) ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٨٥) إنه الهدى الذي قال عنه: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْقَى﴾ (طه: ١٢٣).

أثناء الفتن وعند تراكم هذه الفتن التي كقطع الليل المظلم ما الذي يحدث؟ ليست الخطورة فيها في أنه كم قتلى يحصل هنا، كم دماراً يحصل هناك؛ لأنه قال فيها مبيناً وجه الخطورة فيها على أمته: ((يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً)). أي الخطورة فيها خطورة تضليل رهيب والتباس في الأمور، وضلال رهيب، وضلال دقيق، ويأتونك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي * أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ بَأْنِ هَذَا ذِكْرٌ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٣، ١٢٤) لماذا يحشر أعمى؟ لأنه كان ضالاً عندما أعرض، أعرض فضل ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَتَمْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ (طه: ١٢٥-١٢٧) هكذا يكون جزاؤه أن يحشر يوم القيامة أعمى، وأن يعيش في الدنيا عيشة ضنكا.

الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول في حديث رواه الإمام علي (عليه السلام) ((عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: ألا إنها ستكون فتنة. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم)).

قلنا أكثر من مرة: بأن القرآن الكريم يستطيع أن يكشف لكل أمة واقعها، يستطيع أن يكشف لك الواقع، ((فيه خبر ما بعدكم)) خبر ما سيأتي بعدكم، لكن ليس على سبيل الإخبار التاريخي بأنه سيأتي في عام كذا وكذا يحصل كذا وكذا. لا. بطريقة أخرى لا يستطيع أحد أن يعملها ((ألا إنها ستكون فتنة. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم)) ونبأ ما قبلنا فيه عبرة ودرس لنا في مقام الهداية ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١).

((وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل)) فيجب أن نتعامل مع القرآن بجديّة، هو فصل في كل القضايا، فصل في مقام الهداية يرشد للتي هي أقوم ((ليس بالهزل)) هو كتاب عملي، كتاب عملي، كتاب للحياة، كتاب للنفس، كتاب للهداية، ليس فيه مفردة واحدة لا تعطي هداية، ليس فيه آية واحدة لا تعطي هداية، حتى تلك التي يقول عنها أصحاب النسخ والمنسوخ، أو أصحاب (قواعد أصول الفقه): هذه الآية منسوخة. ما الحكمة من بقائها؟ قال: لمجرد التعمُّد بتلاوتها. ليس من هذا القبيل كتاب الله، كل مفردة فيه فيها هداية كبرى، كل آية تهدي هداية، أحياناً تفتح كثير من الآيات أبواباً واسعة من أبواب الهداية.

((من تركه من جبار قصمه الله)) حتى وهو جبار متى ما ترك القرآن يتعرض لأن يقصمه الله، فكيف بأولئك المستضعفين الذين ليس لديهم ما يحميهم إذا تركوا القرآن سيُقصمون سريعاً على أيدي الجبارين، هذا هو جبار

أي: يمتلك قدرة أن يحمي نفسه بل هو من يتسلط على الآخرين متى ما ترك القرآن فإنه يتعرض هو لأن يقصمه الله، لكن هناك سنن ثابتة في القرآن الكريم في قصم الجبارين.

((ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله)) حتى عندما تعرف الواقع الذي أنت تعيش فيه، وتعرف المرحلة السيئة التي أنت تعيش فيها، والضلال الذي ينتشر عن يمينك وشمالك، وأنت هناك من يهتم بنفسه فتبحث عن الهدى، وإن كان لديك حرص كبير على أن تهتدي فإنك عندما تبحث عن الهدى في غير القرآن، وعن غير القرآن تضل، بل يضللك الله، وكلمة: ((ابتغى)) يعني طلب الهدى. من الذي يطلب الهدى؟ من يشعر بحاجة إلى الهدى، حتى من يشعر بحاجة إلى الهدى متى ما انطلق ليهتدي من هنا أو من هنا فسيضل.

((وهو جبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشعب منه العلماء)) متى ما اختلفت الألسن وهي تتلوه، متى ما اختلفت الألسن وهي تُعبر عنه لا يؤثر هذا عليه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرْتَلِّهُ الدِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) وما أكثر ما حصل من التباس الألسنة حول القرآن الكريم! التباس رهيب على أيدي المفسرين، على أيدي أصحاب فنون كثيرة من الفنون التي يقال بأنها تخدم القرآن الكريم، حصل التباس كثير، ولكن القرآن لا يزال هو هو، لا يمكن أن يمسه أحد بسوء، ولا يزال هو هو يرفض كل ما يُلصق به مما لا ينسجم معه.

((ولا يشعب منه العلماء)) لا يشعب منه العلماء؛ لأن فيه المعرفة الواسعة، هو بحر لا يدرك قعره، لكن أصبحنا في موقف عجيب، الشخص منا متى ما كان فقيراً يقول للآخرين: ما معي إلا الله، أليس هكذا يقول؟ يقال للشخص الذي يتعلم القرآن: أنت تقراء؟ أنت تتعلم؟ يقول: نعم في ماذا؟ يقول: في القرآن، أتعلم حصة في القرآن. وماذا؟ أليس الواحد يقول: وماذا؟ هل لا يزال لديك شيء آخر؟ لم يعد هنا شعور بأن القرآن يكفي إلى درجة أنه لا يشعب منه العلماء، ومن العلماء؟ العلماء الذين يفوضون في أعماق أعماقه، لا يزالون مهما عمروا لا يشعبون منه، أي هو بحر علوم.

((ولا يخلق على كثرة الرد)) مهما تردد، الحياة تتردد من حولك وتتغير، وتحدث أحداث متعددة والقرآن كلما ترجع إليه يفيدك يعطيك هدى، يكشف لك شيئاً، كل يوم ترجع إليه، أليست الحياة تتحرك هكذا؟ الحياة كلها تتحرك، متغيرات تطرأ، أحداث تطرأ، القرآن يكشف لك الكثير الكثير عنها، وكيف تنظر إليها، وكيف تتعامل معها.

((ولا تنقضي عجائبه)) حكم عجيبة يعطيها، أمور عجيبة يكشفها، سُبُل عجيبة يهدي إليها، قيم عجيبة. أيضاً ((هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ (الجن: ١، ٢)) هؤلاء جن "قبليين" على ما نقول نحن: "قبلي"^(١) ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَبُوا لَهَا فَيْضًا وَوَأَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأحقاف: ٢٩، ٣٠) كذلك قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ عجب فيه العجائب ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾.

حاولوا أن تربطوا أنفسكم في عملكم هذا بالقرآن، وأنت ترشد حاول أن تدور حول القرآن وتنزل القرآن للناس وتعرض آياته للناس وتذكرهم به؛ لأنك هنا لن تقع في باطل، لن تقع في باطل إذا كنت تقول به، وليس تتقول عليه، هناك من يرجع إلى القرآن ولكنه يتقول على القرآن من منطلق عقائد فاسدة لديه، أو قواعد باطلة ينظر من خلالها إلى القرآن الكريم؛ فيصبح متقولاً عليه، لكن لا. ((من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل)) فيعني ضمانات هذه ما دمت تتحرك في إطار القرآن فكل شيء يأتي من عندك سيكون صحيحاً، عندما تقول به تصدق، تعمل به تريد الأجر من الله يحصل لك أجر، تحكم به تعدل.

((ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم)) أسنا بحاجة إلى أن نهتدي إلى الصراط المستقيم؟ إذا فالقرآن الكريم هو فعلاً القناة التي يجب أن نتلقى منها البيانات التي يجب أن نهتدي بها في هذا العصر، في هذا العصر الذي تحدثنا عن واقعه، وعن واقعنا فيه، وعن وضعيتنا فيه، نحن قلنا: مما نعاني منه الملل، أو تساؤلات بالقلوب.

(١) القبلي: من اللهجة العامية، والمقصود به في هذا السياق: الذي يقبل الحق بدون نقاش.

تحدثنا بالأمس حول ولاية الإمام علي عليه السلام من خلال الآيات الكريمة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥) وتناولنا الآخرين أيضاً بكلام من خلال المقارنة، عمر، أبو بكر، عثمان، وأضرابهم.

العادة في طرح كهذا، لأنه أصبح غير مألوف، أصبح غير مألوف عند الكثير، وغير مسموع عند الكثير أن يتحدث الإنسان بشدة حول أبي بكر، وعمر، وعثمان وتلك المجموعة التي لا تزال نعاني من آثار مخالفتها لله ولرسوله، قد يبدو بعض الناس متسائلاً: (أنه لماذا ولاية علي بالذات؟ ممكن أن تتولى علياً وأبا بكر وعمر وعثمان والكل، ونرضى عليهم جميعاً، وكلهم "باهرين وسبر" ألسنا قد تولينا علياً؟ إذاً هل هناك مانع من دخول الآخرين معه؟ وبذلك سنبدو سَمَحِين، ونبدو قريبين من الآخرين، ونبدو، ونبدو... إلخ).

يحصل مثل هذا كثيراً حتى في أوساط علماء ومتعلمين، وقد يكون - ربما والله أعلم - من أوساط العامة أنفسهم، ممن تراه لا يتسامح في شبر واحد من "مشرب" أو قطعة أرض، أو "مخجر"^(١) مع صاحبه، أو مع أخيه من أمه وأبيه، ولكنه سيبدو متسامحاً مع أبي بكر وعمر وعثمان، وسهل لو أخذوا علينا ثلثي الدين.

لكن بالعودة إلى القرآن الكريم سنعرف أننا بحاجة إلى أن نتحدث بهذا الأسلوب، وبهذا المنطق، وإلا فنحن لسنا ممن طباغهم حمقى أو ضيقة أو شديدي اللهجة على أي إنسان أو يتطاولون بألسنتهم على أي إنسان، ليس هذا من طبنا، ولكن هي الحاجة الماسة التي جعلتنا نتحدث حتى على الرغم من أننا نعلم أننا سنجرح مشاعر كثير من المسلمين بهذا الكلام.

لكننا نقول: نحن أمة مجروحة يجب أن تبحث عن العلاج وعن سبب المرض، عن السبب الذي جعل هذا الجرح ينزف دماً، ولا نجد هناك من يلتئم الجرح على يديه، ليس عصر مجاملة، ليس عصر مداهنة، ليس زمن تغطية وتليبس، بل زماناً يجب أن تكشف فيه الحقائق على أرقى مستوى، وأن يتبين فيها - بدءاً من هناك من مفترق الطرق من بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - من هو السبب في كل ما نحن نعاني منه؟ حتى وإن كان علي، حتى وإن كان عمار، حتى وإن كانت فاطمة، ناهيك عن أبي بكر وعمر وأضرابهم.

ليست المسألة مسألة تعامل على الآخرين، إنما هي شيء يجب أن نصل إليه من خلال ثقتنا بأن هذا القرآن هو وحده الذي يهدي، من خلال اعتماد القرآن الكريم بأنه هدى الله الذي يهدي للتي هي أقوم، وبروحية القرآن نتحدث عن الآخرين، وبأسلوب القرآن نتحدث عن الآخرين أيضاً.

إذاً فليس هناك مجال أن تبدو أكثر تسامحاً من الله، أو أكثر رحمة بالآخرين من الله، أو أكثر حرصاً على وحدة الأمة من الله، فتقول: من أجل أن تتوحد الأمة. إن الله سبحانه وتعالى هو الذي لم يراع مشاعر أولئك الذين يقول الكثير: لا بد أن نراعي مشاعرهم، بل خاطبهم بلهجة قاسية في قضية تبدو طبيعية لبسطاء تبدو طبيعية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢) سننسف أعمالكم. أليس هكذا؟ هذا منطوق شديد أو لا؟ يقول: "كانوا، وكانوا مع رسول الله، ويقال: كانوا يجاهدون، وكان باهر، وكان، وكان..." الله الذي يعلم الأعمال ويكون للأعمال قيمتها عند من؟ عنده، يقول: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ عندما تخاطبونه: يا محمد، بعبارات نحو هذه.

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ﴾ سنحبط أعمالكم. ماذا وراء إحباط الأعمال؟ ماذا أليس وراءها جهنم أن تحبط أعمالك الصالحة؟ الإنسان لا يبقى صيفراً لا سيئات ولا حسنات معناه سترتكب خطيئة وجريمة تحبط كل حسناتك، وتملأ كل ذلك الفراغ سيئات. الإنسان لا يعيش في لحظة لا حسنة ولا سيئة، لا أحد يعيش صيفراً من هنا ومن هنا.

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قالوا: هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر، ودعها تنزل في الصحابة كلهم، أليس هذا منطوقاً ولهجة شديدة؟ أتدري لماذا؟ لأن في رفع صوتهم فوق صوت النبي (صلى الله عليه وسلم) ردى.

(١) المشرب: يكون تابلاً للمزرعة، ومن خلاله يتخلر ماء المطر إلى المزرعة ويسقيها. المخجر: قطعة صغيرة من الأرض.

ما يخل بالأدب في مجلسه ومحضره، ما يكشف عن عدم إجلال واحترام وتقدير له بالشكل الذي يليق به، فإذا كان محمد (صلى الله عليه وسلم) رسول الله ليس له المكانة العظيمة في نفسك التي تجعلك تتأدب في مجلسه؛ إذاً فلن يكون لكلامه وتوجيهاته أهميتها في نفسك، ولن تقع موقعها في نفسك، وبالتالي فسيكون من السهل أن تخالفها، من السهل أن تتملص عنها، من السهل أن تؤوّلها، من السهل أن تبتكر من عندك ما تعتقده بديلاً عنها وتقدمه بديلاً عنها، وهنا مَكْمَنُ الخطورة.

فكيف بمن رفعوا أصواتهم فوق صوت النبي، وخالفوا النبي، ورفعوا أصواتهم فوق صوته وهو في حالة المرض وفي قضية مهمة ﴿أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ارجع إلى القرآن الكريم تجد أسلوبه يقوم على هذا النحو: يلعن الكافرين، يلعن الفاسقين، يلعن الظالمين، يلعن المؤذنين لله ولرسوله، أليس القرآن مليئاً بهذا، أم أنه فقط كتاب أخلاق وتساهل، وليست مشكلة وإن كان هناك ظالم فما عليك منه، وفاسق تتماشى معه، وكافر اتركه وحده، وكلّ سيدخل قبره وحده؟ هو هكذا منطق القرآن، أم أن منطق صرامة وشدة مواقف؟ والقرآن كتاب عملي، ليس كتاباً للترانيم فقط. كتاب عملي للحياة وللنفوس تهتدي وتتحرك على أساسه، كل شيء فيه مهم، فهو يُوجّه حتى بأساليبه.

الله الذي يُسمّي نفسه بأنه أرحم الراحمين، رحيم بعباده يلعن هذا، وسيحبط عمل هذا، ويضرب هذا، المسألة ليست مسألة رحمة كما تتصوّرها نحن، أو تسامح مع كل الأطراف كما تتصوّرها نحن. لا. له منهج واحد ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦) أليس كذلك؟ له هدى واحد ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٣، ١٢٤) من أيّ الأوساط كان، وفي أيّ مرتبة كان، حتى وإن كان نبياً من أنبيائه فإنه يقول له: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتَ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام: ١٥) ليس هناك مجاملة إطلاقاً من قبل أرحم الراحمين.

أنت قد تتجنى يا من يبدو في منطقك أو في تفكيره أكثر تسامحاً، عندما تسمع منطقاً شديداً اللهجة غير مألوف ولو على مسامعنا نحن لأننا أصبحنا - كما قلت لكم سابقاً - لا نتشف بثقاقتنا، وإلا فهذا المنطق ليس جديداً، هو منطق السابقين من أئمة أهل البيت، هو منطق فاطمة الزهراء التي أوصت ألا يحضر جنازتها ولا الصلاة عليها أبو بكر ولا عمر، حتى خرج علي (عليه السلام) مع عمار ومجموعة خاصة من أوليائه ليدفنوها في الليل ويعملوا عدة قبور ليعموا حتى قبرها عنهم، أليس هذا شدة من فاطمة؟ فاطمة هي كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ((هي سيدة نساء العالمين)) ((فاطمة بضعة مني يُرببني ما رابها، يؤذيني ما يؤذيها، يغضبني ما يغضبها، من آذاها فقد آذاني، من أغضبها فقد أغضبني)) على اختلاف ألفاظ الحديث أو تعدد رواياته.

قد تتجنى على حكمة الله سبحانه وتعالى، فتبدو وكأنك أكثر حكمة من الله، الله الذي قال: سيحبط أعمالهم، أعمالاً صالحة، وأنت تريد أن تتفاضى عن أعمال سيئة ترفعها إلى مقام الأعمال الصالحة، كم هو الفارق؟ كبير. الله قال: سيحبط أعمالاً وإن كانت أعمالاً صالحة فعلاً، وإن كان فيها جهاد وعبادة وانفاق، سيحبطها إذا رفعت أصواتكم فوق صوت النبي، فكيف إذا رفعت خطأً ومنهجاً بأكمله خلاف منهج النبي فتجعل حركة النبي (صلى الله عليه وسلم) عبثاً (صلى الله عليه وسلم) وما بذله من جهد كبير أيام حياته تجعله لا شيء في الأخير، وهو الذي ساد في هذه الأمة من ذلك الزمن إلى الآن؟ أليس أبو بكر وعمر ومن وراءهم هم الذين سادوا المجتمع المسلم؟ أليسوا هم؟ أليسوا هم أغلبية الأمة؟

قل: إذاً أولئك لم يرفعوا فقط أصواتهم فوق صوته، بل رفعوا أشياء أخرى خلاف ما جاء به، رفعوا أمة أخرى غير الأمة التي كان يريد أن تكون هي التي ترتفع، هذه الأمة التي كان يريد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن تكون هكذا على مستوى عال، على مستوى عال في واقع حياتها، في تفكيرها، في هديها، في زكاء نفوسها أصبحت أمة دنست بالعقائد الباطلة، تحت أقدام الجبارين من الخلفاء في مختلف العصور، على يد من حصل هذا؟ أول من ظلّم أهل بيته: علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) أول من ظلّموا في هذه الأمة، على يد من حصل هذا؟ علي يد أبي بكر وعمر، يصل معاوية إلى حكم الأمة، ويصل يزيد إلى حكم الأمة، ويصل من كانوا يسبّحون في أحواض من الخمر فيشرب حتى الثمالة وهو أمير المؤمنين، على يد من حصل هذا؟ وبسبب من

حصل هذا؟

القرآن الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) كان هكذا يريد أن يكون من يلي أمر أمته التي هو حريص عليها أن يكون من هذا النوع: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥) فكان هناك من لا يصلي، من يسبغ في أحواض من الخمر، من يسهر في الليالي الحمراء الراقصة - كما يقولون في زماننا هذا - على يد من حصل هذا؟ بسبب من حصل هذا؟

رفعت أشياء رهيبة جداً جداً، خلاف ما كان يريد القرآن ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يرتفع في الأمة، أليس هذا أعظم من رفع الصوت فوق صوت النبي؟ أليس هذا يؤلم النبي (صلى الله عليه وسلم) أكثر من أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته؟ بل هو كان سمحاً في أخلاقه وإن حصل في مجلسه ما لا يليق من ناحية الأدب معه (صلى الله عليه وسلم) كان يستحي أن يتحدث، كان يجلس في مجلسه ناساً فيستحي أن يخرج من عندهم، إنما يأتي الله هو يقول لهم: يا جماعة خفضوا على النبي، خفضوا على نبيكم، ألم يحصل هذا من قبل الله هو الذي "فرغ" فيه؟^(١) كان يستحي أن يتكلم هو، يرفعون أصواتهم فوق صوته فيتجمل، يجلس الشخص منهم أو الأشخاص في حجرته فترة طويلة فيستحي أن يقول لهم اخرجوا، يستحي أن يخرج من عندهم، كانت أخلاقه عالية وكريمة وصدوره فسيح، لكن هذه القضايا ليست بسيطة؛ فقال الله سبحانه وتعالى لعباده يحذرهم ويؤدبهم.

فأيهما أشد عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعلى مشاعره، وعلى نفسه أن يرفع صوتاً فوق صوته في مجلسه أو أن يرفع شخص آخر غير من رفعه هو ورفع يده فوق أفتاب الإبل (يوم الغدير)؟ أيهما أشد عليه؟ مخالفته في قضية كهذه أو أن يرفع أحد صوتاً فوق صوته؟ معلوم أن مخالفته في قضايا كهذه المهمة هي التي تؤلمه جداً.

قد تبدو متسامحاً أكثر من الله، الله لا، لا يتسامح مع الذين يتجسسون على عباده، ويظلمون عباده، ويحرفون دينه. هل تسامح مع آدم؟ أول رجل في هذه الأمة أخرجه هو وزوجته من الجنة التي كان قد أعدّها لهم في هذه الدنيا ليقيموا فيها فترة حتى يتكاثر نسلهم، عندما أكلوا شجرة، ما هي هذه الشجرة؟ هل هو شرب خمر؟ لا. شجرة، قال المفسرون: شجرة حنطة، أو أنها الشعير أو أنها التين، أو أنها الكرمة، شجرة طبيعية من هذه التي نأكلها، لكنه خالف فسقي ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا﴾ (طه: ١٢١) خرج من الجنة، أهبط منها، ونزع عنه وعن زوجته لباسهما فخرجا عاريين، نزعتهما من فوقهما ﴿وَوَطِئَا بِخِصْيَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ النَّجْتِ﴾ (طه: ١٢١) شقي آدم بسبب مخالفة؛ ليعطي دروساً لابني آدم من بعده أن مخالفته لا يمكن أن تكون كطاعته.

فتأتي أنت تسوي بين من خالف أمره في أمور مهمة جداً وبين من يطيعه وهو يقول: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ (السجدة: ١٨) ﴿لَّا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (الحشر: ٢٠) يجب أن نهتدي بهدي الله، وأن نقف موقف القرآن، وأن نطق بأساليب القرآن، وأن نكون أقوياء بقوة القرآن، وإلا فسنكون نحن من يتجنى على حكمة الله وعدله ورحمته فيبدو وكأنه أكثر حلاً من الله، أكثر رحمة من الله، أعظم حكمة من الله، أوسع علماً من الله، ستبدو هكذا فتسيئ أنت إلى إلهك، وتسيئ إلى نفسك إساءة بالغة، إساءة بالغة.

كيف تريد أن تتسامح مع أشخاص هم ضربوا هذه الأمة؟ بل لا مخرج لهذه الأمة إلا بأن تصحح وقفها معهم ونظرتها إليهم من جديد. والله هو الذي يقول لنبيه سيد المرسلين: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام: ١٥) هل هناك أحد في هذه الأمة أرفع من محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو الذي يقول: لو عصيت لعذبني، أخاف إن عصيت أن يعذبني، طيب، لو عصى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سنقول: طبعي، هو نبي هو كذا، حتى هذا أليس منطقاً ربيعاً؟ هل هو مقبول عند الله؟ لا.

تنزل إلى شخص آخر ما كان ربما يدري من هو الذي يخاطبه، مقام الذي يخاطبه، عظمة الذي يخاطبه، جلال الذي يخاطبه، فيرفع صوته فوق صوته ويعارضه في منزله في داخل بيته أثناء مرضه في قضية تهمة جداً، هل

(١) فرغ فيه: من اللّهجة العامية، والمقصود به: أفضده وفكّ عنه. والفارغ - عموماً - هو الذي يقوم بإيقاف الاشتباك بين طرفين أو أكثر.

تريد أن تمنحه ما لم يُمنح لمحمد (صلى الله عليه وسلم) من قبل الله. فتؤمنه مما لم يأمن منه محمد (صلى الله عليه وسلم) ربه؟ تبدو أنت ترتكب جريمة أخرى، تبدو أنت من يغطي على منابع الفساد في هذه الأمة.

ثم نأتي إلى من يقول: (ممكن أن تتولى علياً وأبا بكر وعمر وعثمان والصحابة جميعاً ونرضي عليهم ونبدو أكثر تسامحاً، ويمكن أن تتوحد مع الآخرين... إلخ). هل هذا صحيح؟ هل هذا ممكن؟ لو كان ممكناً، لو كان يبرئ الذمة، لو كان فيه الحل، لو كان هو هدى الله ما الذي يمنعنا من ذلك؟ هل هناك ما يمنعنا؟ يمكن أن نصلي عليهم وليس فقط نرضي عليهم لو كانت القضية هكذا ممكنة، لكن ارجع إلى هذه الآيات نفسها، أليست تتحدث عن قضية مهمة جداً بالغة الخطورة علينا في إسلامنا، في إيماننا، في أنفسنا، وفي واقع حياتنا؟ قضية أهل الكتاب، مواجهة اليهود والنصارى، ما يحصل من جانبهم، أليست القضية خطيرة؟ تضربنا في إيماننا فنكون قد ارتكبنا جريمتين: أضعنا إسلامنا، وأضعنا مسؤوليتنا.

ألم تذكّرنا آيات (آل عمران) بأن القضية هي على هذا النحو: محافظة على إسلامكم، وتأهيل لأنفسكم لتكونوا بمستوى أداء مسؤوليتكم، ما هي المسؤولية هذه؟ مسؤولية كبرى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠) مسؤولية كبرى، أن تكونوا ممن قال عنه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٥٤) إذا ففي هذه الآية أرشد إلى (تولي) من نوع خاص ولطرف خاص: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥).

إن المراد هنا: أن تتولى جهة تولياً تنظر إليها هي أنها الجهة التي تعتبر ولي أمرك ولاية أمر، منها تتلقى الهداية، منها تتلقى التوجيهات، بها تقتدي، بها تهتدي، إن المقام مقام يتطلب هذا فعلاً؛ ولهذا قال بعدها: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٦) هو يفترض أننا يجب أن نكون في مقام تأهيل أنفسنا لنكون حزب الله ولنغلب؛ إذاً ماذا يعني هذا؟ هو أنك تبحث عن تتولاها، به تهتدي، به تقتدي، له تطيع، له تأتمر، له تتبع، منه تقتبس، به تتأسى، قيادة، ولاية أمر، هذه تختلف عن الولاية فيما بين المؤمنين أنفسهم ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١) هذا هو جانب معنى أن يكونوا مع بعضهم أولياء بعض: أن يكونوا صفاً واحداً وموقفاً واحداً، متعاونين متكاتفين كالجسد الواحد فيما بينهم، يهتد بعضهم أمر بعض، تسودهم حالة من الألفة، من الأخوة، من المحبة.

لكن هنا يرشد إلى جانب الجهة التي تتولاها؛ لتتلقى منها الهداية، تتلقى منها التوجيهات؛ لأنك عندما تريد أن تكون كما قال الله سبحانه وتعالى، تريد أن تكون من حزبه، أليس هذا يعني أنك تريد أن تكون جندياً من جنوده في مواجهة طائفة خبيثة من خلقه، هم أهل الكتاب: اليهود والنصارى؟ إذاً كيف جندي بدون قيادة؟! كيف جندي لا يتلقى أوامر ولا توجيهات من طرف معين؟! كيف يوجهك إلى أن تكون جندياً من جنوده فتكون واحداً من أفراد حزب يسمّى حزبه (حزب الله) هو الحزب الموعود بالغلبة ثم لا يتحدث لك عن قيادته من هي، وكيف يجب أن تكون قيادته؟! هل هذا ممكن؟ لا يمكن، لا يمكن؛ ولهذا قال هنا: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ حزب الله ماذا يعني؟ جنود، أليسوا جنوداً لله؟ جنود لله يسمون حزبه في ميدان المواجهة، في ميدان الصراع، في ميدان الكفاح بمختلف الوسائل، كيف جنود بغير قيادة؟! هل هذا ممكن؟ هل ممكن لأي ملك من ملوك الدنيا أو زعيم من زعماء هذا العصر أن يرسل كتيبة إلى منطقة بغير قائد؟! هل هذا يحصل؟ يضعون قائداً حتى لا يطمع الواحد، سيارة واحدة يضعون لها قائداً، أليس هذا هو ما هو معروف؟

هذا الذي قال الله عنه في القرآن الكريم: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢) ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ (المائدة: ١٦) ﴿يَهْدِي لِتِلْكَ هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩٠) هو يهدينا إلى كيف نكون جنوداً في مقام مواجهة علياً، مواجهة على مستوى راق، ثم لا يتحدث عن الجهة التي تتلقى منها التوجيهات، عن الجهة التي تقودنا، عن الجهة التي بها نقتدي، عن الجهة التي لها نطيع ونأتمر هل هذا ممكن؟ لا يمكن، لا يمكن.

ولهذا تجد كيف أنه في الآيات في (سورة آل عمران) في مقام الحديث عن أهل الكتاب كيف وجّهنا إلى نقطة مهمة هي: أن نكون متوحدين داخل من يجب أن يكونوا حزب الله، ثم هنا يتحدث عن القيادة، والقيادة هي تبدأ من عند ولي العباد هو الله سبحانه وتعالى.

قلنا في جلسة سابقة: بأنه يبدو لمن يتأمل هذه الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، وعمّا يراد للأمة في مواجهتها، وعن خطورة هذه القضية، يبدو وكأن الله سبحانه وتعالى هو من يقود، هو من يتصدر لقيادة المهمة فعلاً، ماذا يعني؟ وكأن القضية تولى رسم معالمها، تولى تبیینها بشكل يعني هو تولى قيادة - كما يقولون - (غرفة العمليات) تولى هو القيادة لخطورة القضية، فكيف لا يوجّه؟

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ تهتدون بهديه، تسيرون على تعليماته ووفق خطه في هذه المواجهة، أنتم يا من تريدون أن تكونوا حزبه لتغلبوا، وليكم الله ورسوله والذين آمنوا علي بن أبي طالب، فتولّي علي بن أبي طالب هو تولّي قدوة، تولّي ولي أمر، تولّي هادٍ للأمة من بعد نبيها (صلى الله عليه وسلم) (...)^(١) لم يرض عمر هو، قال: (لا يجتمع سيفان في عميد واحد)^(٢) هو نفسه لا يرضى هو؛ لأن معناه أن ترفع أبا بكر وعمر وعثمان في المقام الواحد نفسه لتعطيه هذه الولاية التي لا تصح إلا لعلم واحد، هل يمكن أن يكون هناك أكثر من قائد واحد لكتيبة واحدة، أكثر من قائد لشعب واحد، أكثر من قائد لأمة واحدة؟ أليس هذا يوجد خلافاً؟

عمر نفسه رفض عندما قال الأنصار: (منا أمير ومنكم أمير) قال: لا. وأنت تريد أنت أن تضيف عمر وهو يرفض من حيث المبدأ ما تريد أن تعمله له، تضيفه إلى علي ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ تقول: علي وأبو بكر وعمر وعثمان وهكذا.. لا. المسألة هي مسألة ولاية هدى، ولاية اهتداء واقتداء من جهة عليا، منها تتلقى الهداية، أنت يا من أنت جندي في ميدان المواجهة، من أنت تسمي نفسك أو تريد أن تكون من حزب الله يجب أن تتلقى من هذه الجهة، وأنت تتولاها ولاية اهتداء واقتداء، ولاية طاعة، ولاية أمر، إذاً فلا مجال لسحبها على الآخرين؛ لأننا هنا نخطب بخطاب يختلف نوعاً ما عن قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١).

ثم نعود إلى ما تحدثنا عنه بالأمس لأن البعض قد يقول: لماذا لم يقل فلان؟ لماذا لم يقل ملككم أو رئيسكم أو زعيمكم: الله ورسوله وعلي، أو حتى يقول والذين آمنوا بعد ما يقول زعيمكم؟ لماذا قال: (وليكم)؟

يجب أن نفهم كيف يجب أن تكون العلاقة، وكيف هي العلاقة فعلاً من وجهة نظر القرآن، وعلى وفق رؤية الإسلام، كيف هي العلاقة بين الله ملكنا وبيننا نحن عباده وشعبه - إن صح التعبير - ليست العلاقة بيننا وبين الله، ولا بيننا وبين رسوله، ولا بيننا وبين علي على نمط العلاقة بيننا وبين الرئيس أو الملك أو الزعيم الفلاني هل تفهمون هذه؟ العلاقة بيننا وبين الله هي علاقة أسمى وأرفع، بيننا وبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علاقة أسمى وأرفع، بيننا وبين علي عليه السلام كذلك علاقة أسمى وأرفع، بيننا وبين أئمة أهل البيت كذلك علاقة أسمى وأرفع من هذه.

ماذا يعني هذا؟ هي أنك خليفته في أرضه، أنت في واقعك خليفة له في أرضه، أنت بمسؤولياتك الكثيرة بمهامك الكثيرة في الحياة، أنت طرف تنطلق أنت من جهة نفسك لتبحث عن كيف تتلقى التوجيهات، عن كيف تتلقى الهداية، عن كيف تكون خطط عملك، عن كيف تهتدي وبمن تقتدي، تتلقى التوجيهات من فوق؛ ولهذا جاءت بلفظ (ولي).

كمثال لنفهم المسألة أكثر: أنت هنا علاقتك بـ(علي عبد الله) كعلاقة المحافظ بـ(علي عبد الله)؟ لا. لكن نحن تحت اسم واحد (رئيس) أليس هكذا؟ تحت هذا الاسم الواحد؟ لكن علاقة المحافظ به ما هي؟ أليست علاقة طرف يتحمل مسؤولية، منوط به مسؤوليات ومهام؟ لاحظ كيف يبدو المحافظ مع الرئيس، أليس يبدو أكثر اهتماماً في متابعة أخباره، والبحث عن كيف يتلقى التوجيهات منه، وعلى علاقة دائمة به واتصال مستمر به، أليس هذا الذي يحصل؟ أنت كيف علاقتك أنت بهذا الشخص؟ لا شيء، أليست هكذا في ذهنك غافلاً عنه؟ فقط

(١) هناك انقطاع في التسجيل الصوتي، ويستوحى من السياق أن ما حذف يعطي هذا المعنى: علم واحد للأمة بعد نبيها، لم يقل علي، وفلان، وفلان.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/١٢٠.

عندما يأتي أمر ممكن أن تحضر للمقابلة، أليس هكذا يحصل؟

إذاً نحن المسلمين في واقعنا فيما يتعلق بالعلاقة فيما بيننا وبين الله في هذا الجانب في كونه ملكنا وإلهنا ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو ولي أمرنا وعليه (صلى الله عليه وسلم) هو ولي أمرنا، هي من هذا القبيل، أنت في موقع المحافظ، مسؤوليات كبرى، مهام كبرى، فأنت أنت من جهة نفسك من ينطلق لبحث وهو في ميدان تنفيذ المهام وأداء المسؤوليات والمواجهة مع أطراف متعددة، يتلقى التوجيهات من هذه الجهة العليا، هل تفهم الفارق بين دورك أنت ودور المحافظ؟ أنت في دور المحافظ.

لهذا تجد القرآن الكريم عندما ترجع إليه يُعبر عن ولاية الله سبحانه وتعالى لعباده بمختلف الأساليب، فهو وليهم يتلقون منه الهداية ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧) فهو وليهم يتلقون منه التأييد بالنصر ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (آل عمران: ١٣) هو وليهم وهو يدبر شؤونهم، هو وليهم وهو يرعاهم.

تجد كلمة (ولي) في القرآن الكريم استخدمت بشكل كبير في مجال العلاقة فيما بين الله وبين الإنسان وبين عباده بالذات المسلمين لتعبر عن أن مصاديقها متعددة، وليست معانيها - كما يقول البعض - متعددة (مولى) تأتي بمعنى كذا وبمعنى كذا وبمعنى كذا. كلمة (مولى) هي كلمة واسعة مصاديقها متعددة: في ميدان الهداية هو وليك يهديك، في ميدان المواجهة هو وليك ينصرك ويؤيدك. هكذا المحافظ يعمل مع الرئيس أليس كذلك؟ في ميدان المواجهة اتصال مستمر (أووو يا فندم) ماذا نعمل؟ كيف نتحرك؟ أليس كذلك؟ في ميدان الثقافة في ميادين أخرى، أليس على اتصال مستمر به، هو وليه يستمد منه كذا، ويتلقى منه كذا، ويتحرك على وفق ما يرشده إليه، وليست فقط على نحو ما تتصور هكذا كنظرة الشخص منا للعلاقة بينه وبين الرئيس، القضية الآن معروفة؟

فهذا نفهم كم هي قيمة كلمة: (ولي) هو من يتولى مختلف الشؤون، الشؤون المتعلقة بك في إطار المهمة الكبرى المنوطة بك في مختلف مجالات الحياة وأنت تتحرك، هي نفسها ما أعطاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) علياً (عليه السلام) يوم الغدير عندما قال: ((فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه)) فيأتي بعد من لا يفهم فيقول: لماذا لم يقل: (خليفة) نفهم السلطة، نفهم العلاقة على أضييق نطاق، نفهمها ضيقة جداً، نفهمها من خلال ما فهمنا الخلفاء الجبابرة والسلاطين الجبابرة عن العلاقة بيننا وبينهم، ومن خلال ما فهمنا فعلاً من داخل كتب (علم الكلام) وكتب (علم أصول الفقه) تجعل علاقتي بالله كعلاقة أي واحد منا (علي عبد الله).

انحططنا بشكل رهيب، أضعنا مسؤوليتنا، فلم نعد نعرف ما هي العلاقة بيننا وبين الله؛ فنرى كم هي متشعبة، ثم نرى كم هي واسعة، ثم نرى كم شؤونها متعددة، أو أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما كان يفهم ما كان يعرف كلمة (خليفة) وكلمة (سلطان) وكلمة (ملك) وما كان يسمع هذه ولا يعرفها؟ هو يعرف، لكنه يريد أن يقول: أنت أيها الإنسان خليفة لربك في هذه الأرض، أنت أيها المسلم، أنت أيها العربي المسلم منوطة بك مهمة كبرى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠) أليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إطاراً واسعاً جداً جداً؟ يشمل كل مجالات الحياة، يشمل كل المجالات: ونحن نتجه إلى الإنسان لبنينه، كيف نربيه، كيف نتقنه، كيف نعلمه، كيف نصنعه، ويشمل كل مجالات الحياة، ونحن نبنينا ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠) إذاً المسألة ليست مسألة تسلط، بل مسألة هداية، الله يصف نفسه بهذا.

أليس الله سبحانه وتعالى وهو يهدينا ويرشدنا داخل كتابه الكريم يصف نفسه بالرحمة، أم أنه يصدر إرشاداته بشكل قوانين بشكل مرسوم ملكي، أو قرار من رئاسة الجمهورية: (مادة اثنين يعمل به من تاريخ صدوره، وينشر في الجريدة الرسمية)؟ أليس يصدر هكذا، أم أنه يقول: ﴿يَسْمَعُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ * حَم * تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (غافر: ٢٤) ﴿تَنْزِيلِ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (فصلت: ٢) ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٨٥) ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ (المائدة: ١٦) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)؟ ما هذا؟ منطلق ماذا؟ منطلق ولي، لا ينظر إليك نظرة تسلط وتجبّر وهيمنة على النحو الذي تفهمه أنت من

خلال علاقتك برئيس أو بملك من زعماء الدنيا، ليس على هذا النحو. أليس الله هو من يعرض كيف يحسن إلينا؟ ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (النحل: ٥٢) ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (نعمان: ٢٠) أليس هو من يدلنا ويسير بنا على نحو معين؛ لننطلق في السير على صراطه المستقيم؟ وهو يلنا برحمة وبرفق ولين، هلم إلى هنا إلى الصراط المستقيم، تكاد - وأنت تتأمل - أن تنسى أن الله يتعامل معك كملك على النحو الذي أنت تفهم من خلال تعامل زعماء الدنيا معك.

(وليّ) يركبك، يدبر أمرك، يهيمه أمرك، يحرض عليك، يرحمك، يرفق بك، لا يريد أن تضل، لا يريد أن تشقى ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ١٠٨) وهكذا كان رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهكذا العلاقة مع رسوله، وهكذا العلاقة مع علي بن أبي طالب عليه السلام.

إذاً فعليّ ولايتنا له أن ننظر إليه كولي أمرنا، ما هو أمرنا؟ مهامنا في الحياة، مهامنا ونحن نربّي أنفسنا ونرشدنا لنزكيها، وليس كما يقال: الإمامة رئاسة عامة يعني إقامة الحدود، نقتل هذا ونقطع يد هذا ونجلد هذا، أليست هذه أوامر؟ الأمر الذي هو وليك فيه هو الأمر الواسع، هي المهام الواسعة في مقام تزكية نفسك، في مقام أداء مسؤولياتك في الحياة، هذه هي الأمور (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) ماذا يعني هنا كلمة (أمر)؟ هل تعني من لم يهتم بأن يأمر المسلمين فإذا لم ينفذوا ضربهم؟ هل هي هكذا؟

بأمر المسلمين: بأمرهم التي يجب أن تكون محط اهتمامه، أمورهم تلك المتعلقة بنفوسهم لتزكو، تلك المتعلقة بحياتهم لتبني وتعمّر على الصلاح والعزة، تلك الأمور التي يجب أن تتبنيها لهذه الأمة وتجتمع عليها لتكون أمة عزيزة قوية، ألم تأت هنا: (من لم يهتم بأمر المسلمين) كما نقول: (ولي أمر المسلمين) ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦) ماذا تعني: ﴿أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾؟ هل أنك دائماً تتعامل مع نفسك أوامر؟ كيف يتعامل الواحد منا مع نفسه؟ هل أصدرت مرة أمراً على نفسك؟ أمر "اسرح يا حسين ألهم الله، اسرح يا حسين السوق" سيقال له مجنون من يتعامل مع نفسه على هذا النحو، أليس كذلك؟

لكن نفسك هذه ما هي؟ ماذا يُراد لها؟ أليس يُراد لها أن تتعلم أن تزكو، أن تنطلق قائمة بالقسط، أن تكون عضواً في حزب الله، أن تكون جندياً من أنصار الله؟ أليست هذه نفسك؟ طيب، من الذي سيبنينا على هذا النحو؟ دع النبي ليبنينا على هذا النحو، فهو أولى بك من نفسك؛ لأنك أنت لن تستطيع، لا تملك أيضاً أن تجعل من نفسك هذا الإنسان على هذا النحو ﴿تَقَدَّمَ مِّنَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران: ١٦٤) ألم يقل: ﴿يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾؟ يعلمهم ويزكيهم، أليست هذه هي التي تكررت في أكثر من آية: ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (البقرة: ١٢٩)؟ أي أن يعلم نفسك، يزكي نفسك، يؤهل نفسك، يبني نفسك، يثقفها، ينورها.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ على هذا النحو، هو الذي يتولى بنائنا، وبالطبع أنت إذا لم تدع النبي يتولى هو أن يبني نفسك، ويتولى شؤون نفسك، ليجعل منك عنصراً صالحاً في هذه الدنيا؛ فستصبح ماذا؟ عنصراً باطلاً، عنصراً ضاللاً، عنصراً مخرباً، تكون خبيثاً، أين مكان الخبيث؟ جهنم، أليس كذلك؟ في يوم القيامة: ﴿لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَ فِرْكَمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ (الأنفال: ٣٧) أليس كذلك؟

أنت في هذه الدنيا إذا لم تجعل وليك هو الله ورسوله والذين آمنوا، ووليك بمعنى تسلّم له نفسك، هو الذي يعلمها هو الذي يزكيها، هو الذي يؤهلها لتكون من حزب الله، لتكون من أنصار الله ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ (الصف: ١٤) ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ (النساء: ١٣٥) فتكون ممن يقومون بالقسط، هو يودبك، هو يربيك، هو يثقفك، إذا لم تسلّم نفسك له وتشعر بأنه أولى بنفسك منك، أو أولى بك من نفسك - التعبير متقارب - فستصبح ماذا؟ شيطاناً وضالاً، وفي الأخير تتحول إلى خبيث، وفي الأخير يكون مصيرك جهنم.

من هنا نعرف الفرق بين أن نفهم أن الحياة - كما يقول البعض أو كما نفهم - مطبوعة هكذا: طاعات ومعاصي وأنت مُخَيَّر هنا في الوسط إما أن تمشي هناك أو تمشي هناك، أليس هكذا يبدو الكلام، ونعرف هكذا، خاصة طلاب

العلم عندما نقرأ (أصول الفقه) أو نقرأ في كتب (علم الكلام)؟

المسألة: الحياة ليست مطبوعة بالمعاصي، ليست مطبوعة بالضللال، إنما أنت من سينطلق، وحتى عندما يقول: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البدر: ١٠) هي هداية تتجه في قناة واحدة: هي أنه إذا لم تكن أنت على هذا النحو فستصبح على هذا النحو، أليس كذلك؟

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦) فإذا لم تدع النبي هو الذي يتولى شؤون نفسك وأمر نفسك. ماذا يريد النبي؟ هل سيقول لك: هيا، تسرح تشتغل مزارعه، أو تعمل له أعمالاً، أو ما الذي يريد منك النبي (صلى الله عليه وسلم)؟ ما هو دوره؟ أليس: ليعلم الناس، ويزكيهم، وينورهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويجعل منهم أفراداً صالحين، يجعل منهم أعزة على الكافرين، يجعل منهم أمة قوية، أمة متوحدة، أمة تنطلق في ميادين الحياة لتأمر الأمم الأخرى بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ إذا لم تدعه هو فستصبح تلقائياً في ماذا؟ في جانب الشر وفي جانب الخبث، فتصبح خبيثاً.

إذاً فلنأت إلى الآخرين (أبي بكر وعمر) بل الكل من الصحابة أنفسهم، ليس لأحد هذا المقام، وحتى فيما يتعلق بمثل هذه الآية، ليس فقط موقفاً من أبي بكر وعمر فقط، بل ومن الكل أنهم هم ملزمون بأن يتولوا علياً (عليه السلام) لأن أول مهمة ستكون لعلي (عليه السلام) - هذه المهمة الكبرى - هي من بعد أن تفارق روح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحياة الدنيا.

إذاً فنحن حتى عندما تتولى عمار بن ياسر، أليس تولينا لعمار يختلف عن تولينا لعلي؟ أليس عمار هو نفسه يتولى علياً (عليه السلام) كما تتولاه نحن، بل أعظم مما تتولاه نحن؟ فيعد نفسه جندياً من أخلص جنود الإمام علي (عليه السلام) وهو عمار من السابقين في الإسلام، وهو من قال فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ((إنه ملئ إيماناً من قمة رأسه إلى أخمص قدميه)) إذاً فكيف تريد مني أن أمنح هذه الولاية التي لم أمنحها لعمار أن أمنحها لمن خالف الرسول (صلى الله عليه وسلم)؟ تريد مني أن أتولاهم كما أتولى علياً وأنا لم أتولَ عماراً بعد كما أتولى علياً (عليه السلام) وعمار هو نفسه يتولى علياً (عليه السلام) بأعظم مما تتولاه نحن.

إذاً فهمنا بأن مسألة الولاية هنا التي نحن موجهون إليها في هذا المقام المهم، في مقام أن تكون الأمة، أو يكون المجتمع الفلاني من حزب الله الذي سيغلب في ميدان المواجهة، ألم نفهم بعد بأنها لا تعني أولئك ولا علاقة لهم بها، لا أبا بكر ولا عمر ولا عثمان؟ إذاً فالمقام ليس مقام أن تقول: "با يسبر أننا نتولى علياً وأبا بكر وعمر وعثمان" والنتيجة: تجي تسحب هذه الآية عليهم جميعاً!

لهذا جاء المضرون لیسحبوها على المؤمنین جميعاً، أي ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يعني يؤدونها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (المائدة: ٥٥) وهم خاشعون لله (حتى لم يعودوا يدرون من يريدون نهائياً) كل المؤمنين، والمؤمنون كما قلنا - في كلام سابق^(١) - من هم معرضون لأن يرددوا بعد إيمانهم كافرين، ألم يخاطبوا بمخاطبة إيمان {يا أيها الذين آمنوا}؟ هم الذي خوطبوا بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ (المائدة: ٥١) - وكما قلنا سابقاً^(٢) - قد تصبح المسألة (يا أيها الذين آمنوا تولوا الذين آمنوا) وهذا منطوق غير مقبول.

قد يقول البعض: إن الله قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠) إذاً لا أحد يتكلم في أحد ممن قد سبقوا بل يستغفر لهم، أليست هكذا؟ لأننا جننا من بعدهم وهم سبقونا، السبق ليس سبقاً زمنياً، ليس المقصود هنا مجرد السبق الزمني، إنما السبق بالإيمان، إذاً فنستغفر ونحب وندعو لمن سبقونا بالإيمان فعلاً، لكن من سبقنا إلى مخالفة النبي (صلى الله عليه وسلم) والضرب بجهوده عرض الحائط وضرب أمته، هل هذا هو الذي نستغفر له؟ هل سبقنا بإيمان أم سبقنا بمخالفة؟

(١) قال ذلك في الدرس الأول من سورة المائدة.

(٢) المصدر السابق.

القرآن حكيم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا﴾ (العشر: ١٠) يعني كانوا قبلنا بزمن أم سبقونا بإيمان؟ بإيمان. من كان يؤمن بعلي عليه السلام بولاية علي هذا هو الذي سبقني بإيمان فعلاً، لكن من كان لا يؤمن بهذا بل انطلق ليخالف علياً ويظلم علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ويظلم الأمة كلها، هل هذا سبقني بالإيمان أم سبقني بماذا؟ بمعصية وبمخالفة، أليس كذلك؟ من هم إخواننا الذين سبقونا بالإيمان؟ نحن في واقعنا مع الصحابة جملة، ألسنا مخاطبين سوياً؟ مخاطبين بخطاب واحد ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المائدة: ٥٥) هل هذا الخطاب لمن بعد القرن الأول فقط، أم خطاب من بعد ما نزلت الآية لكل من كان موجوداً من البشر من المسلمين من ذلك العصر إلى آخر أيام الدنيا؟ أليس خطاباً لهم جميعاً؟

طيب، من يتولى الله ويتولى رسوله ويتولى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ - الذي هو علي بن أبي طالب - أليس هذا أمراً موجهاً إلى الصحابة وإلينا جميعاً؟ إذا فهم ملزمون بما نحن ملزمون به، بل بطريق الأولى؛ لأن موقفهم هناك موقف من يبني أو يهدم، ولهذا جاء في الآية: ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ أليس الإيمان هو الذي يبني الحياة ويبني النفوس؟ من كان منهم يؤمن، ونحن وهم شأننا واحد: نؤمن جميعاً بما هو مطلوب منا أن نؤمن به؛ فهم إخواننا، أليس كذلك؟ هم إخواننا، نستغفر لهم، ندعو الله لهم، نحبههم، نتولاهم باعتبار أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، هم سلسلة واحدة متواصلة عبر الأجيال وتوالي السنين. لكن من سبقونا بمخالفة لا علاقة لنا بهم، بل هم من نحملهم مسؤولية معاناة الأمة، وما انتشر في الأمة من ضلال بسبب مخالفتهم.

أين الأولى أن نبارك جهود من يهدم أو أن نصيح في وجهه؟ هل أن نرفع يده عن الهدم أم أن نصفق له؟ كيف هو الموقف الصحيح؟ أليس أن نرفع يده؟ أليس أن نلقي به من فوق الجدار الذي انطلق ليهدمه؟ أليس هذا هو ما يعمل الناس؟ أليس هذا هو الموقف الطبيعي للناس أمام من يبني ويهدم؟ من يبني يشدون أزره ويعطونه اللبنة ليبنيها واحدة بعد واحدة، ومن يهدم يلقي به من فوق الجدار، هذا هو الموقف الذي لا بد منه، والحقائق لا بد أن ننطلق لتتعرف عليها؛ لأن لها علاقة بواقعنا كما أن لعلي علاقة بواقعنا، وهو الذي تحدثنا عنه أكثر من مرة: أن ولايته على الرغم أنه قد قتل واستشهد رحمة الله عليه وبيننا وبينه أكثر من ألف وأربعمائة عام تقريباً، ما زال واقعنا مرتبطاً به، ما زال الحل مرتبطاً بتوليته. إذاً كان يُقدّم لك في الساحة أطراف أخرى تتولاهم بديلاً عنه فالإشكالية لا تزال قائمة، والحل لا يزال ضائعاً.

ونحن الزيدية من يجب أن نعي نحن الزيدية من يجب أن نفهم قبل غيرنا، نحن الذين يجب ألاّ نسمح لقلوبنا أن يتخلل إليها ذرة من ولائ أولئك الذين يُقدّمون للأمة وهم من هدموا صرح هذه الأمة.

ثم ننطلق في هذه الآيات، لنعرف كيف أنه توسط الحديث عن قيادة الأمة عن هداية الأمة لتجعل من نفسها حزب الله الغالب يأتي في إطار الحديث عن بني إسرائيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا﴾ (المائدة: ٥٧) وهذه جاءت بعد قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٦).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يرجع بك من جديد للموضوع المهم ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُرُوءًا وَعَلَبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٥٧) ما هذا المنطق المهم، العبارات المهمة، الخطاب الشديد لهجة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؟ كيف تتولون قوماً هم هكذا كما عرضناهم لكم في أكثر من آية: حُساداً لكم، يعضون أناملهم من الغيظ، أليست هذه هي ضائعة أيضاً؟ فعلاً هي ضائعة، من الذي يغضب لدين الله؟ هم القليل، من الذي يؤله أن يجد من يسخر من دين الله، من يسخر من أعلام دين الله، من يسخر من هداية عباد الله؟ أليس القليل؟ والكثير هو من يغضب لنفسه، هو من يغضب لأبيه أو أمه ولا يغضب لأعلام دينه، ولا يغضب لهداة عباد الله، ولا يغضب لهداة الأمة إلى الحق، ولا يغضب للذين أن يصبح ديناً يُسخر منه فيقال: هو (دين التخلف) هو (أفيون الشعوب) أليست هذه العبارات التي تأتي من قبل أهل الكتاب من قبل اليهود والنصارى، وعلى السنة من يتثقفون على أيديهم؟

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُرُوءًا وَعَلَبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة: ٥٨) الصلاة التي هي خير الأعمال، الصلاة هذه التي أنتم تتسابقون إليها في كل يوم خمس مرات تؤدونها من منطلق أنكم تشعرون بأنها

الكلية ثم نعرف خطورة المسألة.

وإن شاء الله سنكون ممن يحصنون أنفسهم، وسيكونون بتوليهم لله ولرسوله والذين آمنوا من حزبه الغالب، وأن نبتعد عن كل أسباب التضليل، عن كل مصادر التضليل سواءً عن وسائل التضليل من قبل اليهود والنصارى مباشرة أو من طريق أوليائهم.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وأن يهدينا وأن يُبصِّرنا وأن يلهمنا رشدنا إنه على كل شيء قدير.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر/ الموت لأمریکا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ١٨ من ذي الحجة ١٤٣٧هـ
الموافق: ١٩ / ٩ / ٢٠١٦م

الله أكبر
الموت لأمرئيكما
الموت لإسرائيل
اللجنة على اليهود
النصر للإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قاطعوا
البضائع الأمريكية
والإسرائيلية

دروس من هدي القرآن الكريم
ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨	دروس من سورة آل عمران
الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣	دروس من سورة المائدة
دروس معرفة الله				
نعم الله الدرر الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢	نعم الله الدرر الرابع ٢٠٠٢/١/٢١	نعم الله الدرر الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠	نعم الله الدرر الثاني ٢٠٠٢/١/١٩	الثقة بالله - الدرر الأول ٢٠٠٢/١/١٨
وعده ووعيده الدرر العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩	وعده ووعيده الدرر التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨	عظمة الله الدرر الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦	عظمة الله الدرر السابع ٢٠٠٢/١/٢٥	عظمة الله الدرر السادس ٢٠٠٢/١/٢٣
وعده ووعيده الدرر الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨	وعده ووعيده الدرر الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦	وعده ووعيده الدرر الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥	وعده ووعيده الدرر الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤	وعده ووعيده الدرر الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠
دروس متفرقة				
في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١	﴿أَشْرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ٢٠٠٢/١/٢٤	الصرخة في وجه المستكبرين ٢٠٠٢ / ١ / ١٧
﴿وَتَنِي تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾ ٢٠٠٢/٢/١٠	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨	لتحذرن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧	خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣
دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٢	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨	﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ ٢٠٠٢/٢/١١
الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢	﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٩/٢	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤	﴿وَمَخْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٧/٢٦
دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١	لا عذر للجميع أمام الله ٢٠٠٢/١٢/٢١
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي <small>عليه السلام</small> ١٩ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ
﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ٢٠٠٣/٦/٣	﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ ٢٠٠٣/٥/٢٨	الوحدة الإيمانية	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾	الموالاتة والمعاداة ١٤٢٣هـ
دروس مديح القرآن من الدرر الأول إلى الدرر السابع من تاريخ ٢٠٠٣/٥/٢٨ إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣				من نحن ومن هم
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (١١٥-١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤-١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧-١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠-٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢١-٢٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ
الآيات (٢٧٥-٢٧٥) من البقرة-٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢٥٣-٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢١٥-٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٨٧-٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٤٦-١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (٤٣-١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١-٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١- آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢-١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٣٣-٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (١-٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥- آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧-٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١-٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١٣٥- آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأعراف: الآيات (١٦٣- آخر السورة) ٢٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨-١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١-١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣- آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (٢٩- ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ



